وانفتح لي رأيٌ عجيب ، فجعلتُ أتأمل كيف آمن شيطاني ثم كَفَر بعدُ ، على أن شيطانها هي كَفَر في الأول ثم آمن في الآخر ؟ فوالله ما كنتُ إلا غبياً خامدَ الفطنة إذ لم يَسخَ لي الصواب حتى كدت أزهق نفسي وأخسر الدنيا والآخرة ؛ فان الشيطان — لعنه الله — إنما ردّني عن الفاحشة وهي ذنب واحد ليرميني بعدها في الذنوب كلها بالموت على الكفر !

وردّ الليّ هذا الخاطرُ ما عَزَبَ من عقلي ؛ ومَن ابْتُلِيَ ببلاءٍ شديد يزلزل يقينه ثم أبصر اليقين ، جاء منه شخص كأنما خُلِقَ لساعته ؛ فلعنتُ شيطاني واستعذتُ بالله من مكره ، وألقيت السمّ في التراب وغيّبته فيه ، وقلتُ لنفسي : ويحك يا نفس ! إن الحياة تعمل عملاً بالحي ، أفترضين أن تعمل الحياةُ بأبطالها ورجالها ما عرفتِ وما علمتِ ، ثم يكون عملها بك أنت القعودَ ناحية والبكاءَ على امرأة ؟

أيتها النفس ، ماالفرق بين سرقة لحم من دكان قصاب ، وبين سرقة لحم امرأة من دار أبيها ، أو زوجها ، أو مولاها . . . ؟

أيتها النفس ، إن إيمانَ أسلافنا معنا ؛ إن الاسلام في المسلم

* * *

قال المسيّب : وهنا طاش مجاهد واستخفه الطرب ، فصاح صيحةَ النصر : الله أكبر ! وجاوبه أهلُ المسجد في صيحةٍ واحدة : الله أكبر ! ولم يكد يهتف بها الناس حتى ارتفعت صيحة المؤذّن لصلاة المغرب . الله أكبر . . .

« انتهى المجلس ، وبقيت لحديث المسيب بقية »

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

رجاء — أرجو ممن كتب الى بتوقيع (مسلم) أن يتخذ عنواناً أخاطبه به ولو اسما مستعاراً في شباك البريد لأكتب له كتاباً خاصاً ؟ الرافعي

سبيل المدنيـــة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المـازني

رآني مرةً صاحبٌ لي آكل لحماً نيئاً ، فاستغرب ، وسألني عنه كيف أجده ؟ قلت : أطيب ما يكون ، فأبى أن يصدّق ، وذهب يكابر ، وجعل يسأل : « كيف تستطيبه وهو نيء ؟ »

قلت : « يا أخي إن المسألة ليست مسألة منطق وجدل ، وإنما هي مسألة طعام ، فخذ منه وذق ، وانظر بعد ذلك كيف تجده ، ثم إنه لا شك أخف على المعدة وهي أقدر على هضمه من اللحم الذي أنضجته النار ، وأثقله ما يخلط به »

فهز رأسه منكراً ، وأبى أن يجرب . ومضت أيام ، فاشتهيت أن آكل كبداً نيئة ، فصارت الخادمة بعد ذلك تعلن الخوف مني ولا تخفيه ، وتغلق عليها الأبواب حين تنام ، كأنما خشيت أن آكلها حية ، ثم لم تطق صبراً فتركت البيت ، وتحدثت إلى المخدم بأني « غول » فتعذر عليه أن يقنع غيرها بالعمل في بيتي ، فجئت بواحدة من الريف

ويخيل إليّ أن المدنية تضعفنا من حيث ترقينا ، وتشيع في نفوسنا روح الأنوثة ، فنزداد عليها رقة وتطريا ، ولا نزداد قوة وقدرة على المقاومة . فنحن مثلاً نقاوم البرد بالثياب لا بأجسامنا وما فيها من المناعة الطبيعية التي تستفاد من التجرد ، ولا يستطيع الواحد منا أن يخطو عشر خطوات بقدم حافية ، وما أكثر ما تسمع الأم تحذر ابنها أن يمشي حافياً حتى في البيت مخافة أن يصيبه أذى من الرطوبة أو نحوها . والخبز يوضع على المائدة في طبق حتى لا يمس السفرة ، والأشواك والسكاكين والملاعق توضع مستندة إلى قطع من الزجاج أو المعدن ترفع أطرافها ، وهكذا في كل شيء ، ولكن القطة مثلاً تعمد إلى كوم الزبالة فتنبشه وتأكل ما تجد فيه من فتات الخبز أو غيره ، والكلب يقضم العظام مخلوطة بالتراب فلا يصاب بسوء ولا تعروه حمى ، وينام تحت عين الشمس فلا تضربه ، وإذا جاء الشتاء لم يتخذ لحافاً ولا شبهه . وحدثني طبيب يعمل في الريف انهم قلما يعنون بتطهير أدوات الجراحة في مستشفيات القرى

مجموعات الرسالة

سجل للأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٣٥ قرشاً

ثمن مجموعة السنة الثانيـة (المجلد الأول والمجلد الثاني) ٧٠ قرشاً

كل ثمن مجلد من المجلدات الثلاثة خارج القطر ٥٠ قرشاً

عنايتهم بذلك فى المدن ، ولا يرون أن هذا يضير المرضى ، أو يحدث لهم تسمماً ، وهو يعلل ذلك بأن الأجسام فى القرى أعظم حصانة وأقوى مناعة لكثرة تعرضها ، على خلاف الحال فى المدن

ونصحني مرة طبيب من أصدقائى أن أكف عن أكل اللحم وأن أقتصر فى طعامى على الخضر والفاكهة ، فقلت له : « لا يا صاحبي ، فانى أرى الحيوان أقواه آكل اللحم وأضعفه آكل النبات ، وأنا أكره لنفسى أن أحيا حياة خروف . والعمر طوله أو قصره لا قيمة له ، وليست العبرة بأيام تزداد فى الأجل أو تنقص منه ، فانه إلى انتهاء على الحالين ، « ومَرْجوع وهاج المصابيح رَمَدد » كما يقول الشاعر ، ولأن يحيا المرء حياة قصيرة ولكنها قوية ، خير ألف مرة من أن يعيش ألف سنة ويكون بغلاً أو حماراً »

فضحك ولكني كنت جاداً ، ومن ذا الذى لا يؤثر أن يكون نمراً على أن يكون ثوراً ؟ أعني أن تكون له قوة النمر وصولته وبطشه ، ولا بأس بالغدر والقسوة أيضاً ، فان لكل مزية ثمنها ، وعسير أن تؤتى فضلاً وأن تسلم من عيب أو نقيصة ؛ وإذا كان ثمن القوة القسوة أو الغدر ، فان ثمن الجمال الضعف ، وهكذا فى غير ذلك

وعلى ذكر ذلك أقول إن الحب عند الحيوان تنزٍّ ، وهو بين البدو شهوة تقرى بالاستحواذ بالقوة أو الحيلة ، ولكنه فى ظل المدنية يستحيل حنينَ عاجزٍ ، وصبوةَ حائرٍ ، ولهفة ضائع ، ودموع مفؤود ، لا حيلة له ولا دواء من دائه إلا أن يرق له المحبوب ويحنو عليه كما تحنو الأم على طفلها الرضيع . والتماس معانى الجمال فى الانسان والحيوان والأشياء عنوان رقى ودليل على دقة الحس والتمييز ، ولكنه أيضاً التماس لمعانى الضعف ، وتطلّبٍ من الانسان ، ونزوع إلى الأنوثة . وهذا كلام أحسب القراء سينكرونه ولا يقبلونه ، ولعل منهم من يتوهمه إغراقاً فى التخيل ، ولكنه الحقيقة — وسبيل المدنية هذا ، ولا حيلة لى ولا لهم .

وأحسب أن فى نفسى أثراً من آثار البداوة ، فانى أحب الصحراء وأكره هذه البنى العالية ولا أرتاح إلى الفرش الوثير ، وأمقت التعقيد وأوثر البساطة فى كل شىء ؛ وقد ارتاب بعض أهلى فى صحة عقلى لما تزوجت ، لا لأنى تزوجت ، فما فى ذلك من بأس ، بل لأنى قلت لهؤلاء الأهل لما أبلغونى أن صاحبهم يأبى أن يزوجنى الصغرى قبل أن تتزوج الكبرى : « قولوا له إنى سآخذها على الرغم منه إذا لم آخذها برضاه »

فعجبوا وقال قائلهم : « كيف ؟ فى أى عصر نحن ؟ أم تريد أن تحدث لنا حدثاً فى الأسرة ؟ »

قلت : « كل ما أعرفه أنى أطلبها وأنى سآخذها — خطفاً أو غصباً أو سرقة — آخذها والسلام ، فقولوا مابدا لكم ، وظنوا ما شئتم ، ولكنى أنصح لكم أن تردوا صاحبكم إلى الرشد »

فلم يسمع منهم ، فكان أن أخذتها على رغم كل أنف — إلا أنفها ! ولم أخطفها ولم أسرقها ، ولكنى أحسنت التدبير وجودت الحيلة . وما معنى أن أطلب شيئاً فلا أصنع شيئاً ، وأروح أتحسر وأتلهف وأقطع قلبى عليه ؟ هذا كلام فارغ ! والطلب يقتضى السعى ، فاما أن يوفق المرء وإلا فليقصر إذا عزه المطلب ، ولكنها المدنية تحيل النفوس كالورق المبلول ، فمن كان يريغ القوة فليجفف نفسه قليلاً ، وليناً بها عن الترف والرقة

وقد قرأت للكاتب الانجليزى هـ . ج . ولز ، قصة لا أذكر اسمها ، ولكني أذكر أنه يتخيل أن البطل انتقل إلى كوكب آخر أرقى من هذه الأرض ، وأعلى فى درجات الحضارة وأسبق إليها ببضعة آلاف من السنين ، فكان أن ظهرت الانفلونزا ، ففشت بسرعة ولم يدر سكان هذا الكوكب كيف يتقونها أو يصدونها ، لأن جرثومتها لا تجد من أجسامهم مقاومة ، فأخذوا يعزلون المصابين بالطيارات

وهذا فعل المدنية لأنها ترمى إلى التسهيل والتيسير على الانسان والتخفيف عنه ، ورفع مؤونة الكد والتعب ، وهذا مفض إلى التطرى والضعف . وقد قيل للمشترع الأسبرطى مرة : « ألا تبنى لنا سوراً يقينا الغارات المفاجئة ؟ »

فقال : « كلا . خير سور ما كان من اللحم والدم »

يريد أن يقول إن بناء السور من الحجر يغرى بالاستنامة والاطمئنان ويؤدى إلى الضعف ، أما إذا بقيت المدينة بلا سور يحميها فان هذا يبعث على تنبه أهلها ويقظتهم ويدفعهم إلى الاستعداد الدائم ، فلا تضعف نفوسهم ولا تذهب رجولتهم . وهذا صحيح . وقس على ذلك فى سائر الأمور

ابراهيم عبد القادر المازنى